علـمـاء وأعـلام

آية الله السيد مرتضى الكشميري قدس سره

آية اللّه السيّد مرتضى الكشميري قدس سره

■ اسمه ومولده

ولد السيد مرتضى الرضوي الكشميري في الثامن من شهر ربيع الأول سنة ١٢٦٨ هـ ق في إقليم كشمير بالهند، في أسرة دينية من سلالة السادة الرضويين. ويرجع نسبه بعدة وسائط، إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ولذلك اشتهر بلقب «الرضوي».

■ منزلته العلمية

بعد أن تعلم القراءة والكتابة وتلاوة القرآن الكريم، بدأ بدراسة مقدمات العلوم الدينية، على يد نخبة من علماء كشمير البارعين، وبفضل ذكائه وتميزه العلمي أحرز تقدماً كبيراً. وفي سنة ١٢٨٤ هـ ق، وهو في السادسة عشرة من عمره، سافر إلى مدينتي كربلاء المقدسة والنجف الأشرف، حيث واصل دراساته العليا في الفقه والأصول وسائر العلوم، وبعد سنوات من التحصيل والبحث وتزكية النفس، بلغ مرتبة الاجتهاد والكمال العلمي. وكان إلى جانب تمكّنه من اللغتين الفارسية والعربية وإحاطته بالهندية، متبحراً في علوم الحديث والفقه والأصول والأخلاق والفلسفة والرجال وسائر العلوم الإسلامية.

■ أساتذته

من أبرز أساتذته: السيد مهدي الكشميري (والده)، السيد حسين البهبهاني، الشيخ محمد حسين الكاظمي، الشيخ محمد تقي الهروي، الملا حسينقلي الهمداني النجفي، والميرزا محمد حسن الشيرازي (المعروف بالميرزا الشيرازي)، وغيرهم.

■ تلامذته

ومن أبرز تلامذته: السيد علم الهدى النقوي الكابلي، السيد حسين الطباطبائي القمي، الميرزا جواد آقا الملكي التبريزي، الشيخ حسن علي النخودكي الإصفهاني، الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، الشيخ آقا بزرگ الطهراني، محمد حسين الغروي الإصفهاني، السيد شهاب الدين المرعشي النجفي وغيرهم.

■ آثاره ومؤلفاته

ومن آثاره: علام الأعلام في علم الرجال، رسالة في أعمال الهندسة، شرح على صفحة الأسطرلاب للبهائي، رسالة في البعد بين البلاد، تعليقة على شرح التلخيص للجغميني، تعليقة على أمل الآمل للحر العاملي

■ وفاته

توفي آية الله السيد مرتضى الكشميري قدس سره في الثالث عشر من شهر شوال عام ١٣٢٣ هـ.ق في مدينة الكاظمية المقدسة، ودُفن جثمانه الطاهر في كربلاء المعلى.

مقالة

الإسلام في زمن العولمة
وعد إلهي يفرض كلمته في نهاية المطاف

م د الشيخ حسين التميمي

⚠ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

الآفاق- إن الإسلام دين الله الخاتم، لم يكن مشروعًا بشريًا أو حركة تاريخية محدودة الزمان، بل هو المنظومة التي أرادها الله لتكون كلمة الحق العليا على مرّ العصور. لقد مرّ الإسلام بمراحل عديدة من التحدي والصراع مع الجاهليات المتكررة، من مكة إلى المدينة، ومن صراع الفكرة إلى صراع الحضارة، لكنه في كل مرة كان يثبت أنه الدين الذي يحمل سرّ البقاء، وأنّ وعد الله قائم لا يتبدد: "أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (المجادلة: ٢٢). هذه الآية ليست جملة تاريخية، بل قانون إلهي يتجدد في كل زمان، يختصر المسار البشري كله في مواجهة بين حزب الله وحزب الشيطان، بين مشروع العدالة ومشروع الطغيان، بين الإيمان والمصلحة.

ومنذ بزوغ الإسلام، كان واضحًا أنّه ليس مجرد دين تعبدي، بل مشروع حضاري شامل، يصوغ الإنسان ويهذب المجتمع ويؤسس للعدالة في الأرض. وعندما واجه النبي محمد صلى الله عليه وآله قوى الشرك في مكة، لم يكن يواجه أفرادًا فحسب، بل منظومة فكرية واقتصادية وسياسية متجذرة في الظلم والتمييز. ورغم ضعف الإمكانات وقلة الأنصار، انتصر الإسلام لأنّ الله وعد بالنصر لمن نصره، كما قال تعالى: "إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ" (محمد: ٧). فكان النصر وعدًا لا يتخلف، يتحقق كلما تحقق الإيمان الصادق والعمل المخلص.

واليوم، في ظل العولمة المادية والانهيار القيمي الذي تعيشه الإنسانية، يعود الإسلام من جديد ليؤكد حضوره العالمي لا من خلال السيف، بل من خلال العقل والإقناع والروح، ومن خلال صموده أمام العواصف الفكرية والسياسية التي أرادت طمسه. فقد حاولت قوى كثيرة بعد الاستعمار أن تفصل الدين عن الحياة، وأن تُحوِّل الإسلام إلى مجرد طقوس فردية لا تتدخل في النظام الاجتماعي والسياسي، لكن الواقع المعاصر أثبت أن الإسلام ما زال يمتلك القدرة على تجديد ذاته، وعلى فرض كلمته في ساحة الفكر والحضارة.

ولم يعد الإسلام اليوم يواجه جيوشًا غازية كما في الماضي، بل يواجه حملات إعلامية وفكرية وثقافية تريد أن تحصره في زاوية ضيقة وتقدمه على أنه سبب التخلف، لكن المفارقة أن هذه الحملات نفسها ساهمت في إحياء التساؤل العالمي حوله. فالعالم المتعب من الأيديولوجيات المادية بدأ يبحث عن معنى، عن روح، عن توازن بين العلم والإيمان، فوجد في الإسلام أجوبة عميقة ومتزنة، تُعيد للإنسان هويته المفقودة.

وإن وعد الله بانتصار الإسلام لا يعني فقط الغلبة العسكرية، بل يعني غلبة الفكرة والمبدأ والقيم. فقد يضعف المسلمون، وقد تتراجع مجتمعاتهم في مراحل معينة، لكن الإسلام كفكرة باقية تتحدى الزمن. وما نراه اليوم من انتشار الإسلام في الغرب والشرق، ومن إقبال الملايين على معرفته رغم التشويه، هو دليل أن هذا الدين يحمل من القوة الذاتية ما يجعله يتغلغل في أعماق الإنسان مهما حاولوا حجبه. هذه القوة ليست قوة المال أو الإعلام، بل قوة الحقيقة، فالحقيقة لا تموت وإن خفت صوتها مؤقتًا.

وفي عصر التكنولوجيا وعلى رغم وجود الذكاء الاصطناعي، يبدو الإسلام أكثر حيوية من أي وقت مضى. بينما يعاني الغرب من أزمات أخلاقية عميقة، تتفكك فيها الأسرة وتضعف فيها الروابط الإنسانية، يقدّم الإسلام منظومة متكاملة تحفظ الكرامة وتعيد التوازن بين الفرد والمجتمع. لقد أصبحت القيم الإسلامية مثل العدالة والرحمة والعفة واحترام الإنسان موضوعًا للدراسة في جامعات غير إسلامية، لأن العالم بدأ يدرك أن الحداثة المادية وحدها لا تكفي لبناء سعادة الإنسان.

وإنّ وعد الله بانتصار الإسلام في آخر المطاف لا يتحقق بالعصبية أو الصدام الأعمى، بل بتحقق شروطه: الإخلاص، الوعي، الوحدة، والتمسك بالقرآن والعترة. فالإسلام لا يُفرض بالقوة، وإنما يفرض كلمته بالقوة الأخلاقية والروحية والفكرية. وهذا ما عبّر عنه الإمام السجاد؟ع؟ حين قال: " أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلّا اللّه " الإمام الحسين عليه السلام" ٧٧/٢. هذه المهمة مستمرة في الأمة، لأن الإسلام دين حيّ لا يموت بموت رجاله.

وفي ضوء الأحداث المعاصرة، يتضح أنّ الإسلام يفرض نفسه ليس من خلال السيطرة السياسية فقط، بل من خلال قدرته على الصمود أمام التحديات الفكرية الكبرى. فكلما ظهرت نظرية أو فلسفة جديدة تحاول تفسير الوجود بعيدًا عن الله، ينهار بنيانها أمام بساطة الإسلام وعمق منطقه. فالإسلام لا يصطدم بالعقل، بل يخاطبه ويهديه، لا يعادي العلم، بل يحث عليه، لا يكره الآخر، بل يدعوه بالحكمة والموعظة الحسنة. وهذه المرونة هي سرّ بقاء الإسلام في كل زمان ومكان.

ولقد أخبر القرآن الكريم عن هذه السنة الإلهية بوضوح: "يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" (التوبة:٣٢). هذه الآية ليست وعدًا غيبياً فحسب، بل قراءة دقيقة للتاريخ البشري، إذ مهما اشتدت المؤامرات وتكاثرت الوسائل، يبقى النور الإلهي هو الأعلى. فالإسلام لا ينتصر فقط حين تفتح البلدان، بل حين تفتح القلوب، ولا يفرض كلمته حين يُرفع السيف، بل حين تُرفع القيم ويُرفع الوعي.

ومن هنا، يمكن القول إنّ انتصار الإسلام في نهاية المطاف هو انتصار المنهج الإلهي على الفكر المادي، انتصار الرحمة على العنف، والعقل على الهوى، والعدل على الاستكبار. وهذا الوعد الإلهي سيتجسد بأتم صوره في زمن الظهور المهدوي، حيث تمتد العدالة لتشمل الأرض كلها، كما ورد في الحديث الشريف: "يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا."

بحار الإنوار: ٧٤/٥١. وهذا ليس خيالًا ميتافيزيقيًا، بل استكمال للمسار الطبيعي لحركة التاريخ التي يقودها الله نحو الكمال.

وإنّ كل ما نراه من اضطرابات في العالم ليس إلا مقدمات لهذا التحول الكبير. فالطغيان حين يشتدّ، يخلق مقاومته، والظلم حين يبلغ ذروته، يهيئ الأرض لعدالة قادمة. وهكذا تتجه البشرية اليوم رغم ضلالها الظاهري نحو لحظة وعي، لحظة إدراك أن الإسلام ليس خصمًا للحضارة بل خلاصها.

وحين يتحقق وعد الله، لن يكون انتصار الإسلام في شكل دولة فقط، بل في سيادة قيمه في الوعي الإنساني، حين تصبح العدالة والرحمة والمساواة ثقافة عامة. فالإسلام في جوهره ليس راية قوم أو مذهب، بل مشروع رباني لإحياء الإنسان. لذا قال تعالى: "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ" (الصف: ٩).

وفي نهاية المطاف، حين ننظر إلى مسيرة التاريخ، نجد أن كل القوى التي حاربت الإسلام زالت، بينما بقي الإسلام متجددًا ومتوهجًا. هذه ليست مصادفة، بل هي البرهان على أن الإسلام ليس فكرة بشرية قابلة للزوال، بل هو كلمة الله التي لا تبلى، نوره الذي لا يُطفأ، وعده الذي لا يُخلف. وسواء أكان هذا الانتصار قريبًا أم مؤجلًا، فإن المؤمن يعيش على يقين أنّه قادم لا محالة، لأنّ الله وعد، ووعد الله حق:"أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (المجادلة: ٢٢).

ملاحظة

رحلة المعرفة: من الشك إلى اليقين (٣)

أحمد الطويل

■ الإسلام والمشروعية بعد التعددية الدينية

الآفاق-تنويه: هذه هي المقالة الثالثة من سلسلتنا الفكرية الأسبوعية، مستوحاة من الفصول السادس والسابع من كتاب مدخل في نظرية المعرفة وأسس المعرفة الدينية للأستاذ محمد حسين زاده (ترجمة سيد حيدر الحسيني). بعد استكشاف متاهة القراءات المتعددة في المقالة الأولى، ومواجهة التعددية الدينية في المقالة الثانية، ننتقل اليوم إلى المشروعية في الإسلام، حيث سنكشف الطريق الحق بعد الفوضى الفكرية، ونهيئ القارئ للمقالة الرابعة حول النجاة.

■ مقدمة:

تخيّل نفسك في صحراء مترامية الأطراف، والضباب يلف الأفق. كل قافلة تمر بك تعدك بالواحة، وكل قائد يقسم أن طريقه هو الصحيح. تشعر بالحيرة، تبحث عن العلامات التي تدلك على الطريق الآمن، وتشعر أن الحقيقة لا يمكن أن تكون متفرقة.

هذا بالضبط ما تفعله التعددية الدينية: تعدك بأن كل الطرق صحيحة للوصول إلى الحق، وأن كل دين يحمل جزءًا من الحقيقة. لكن القرآن الكريم يقطع الشك باليقين: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]

الواحة واحدة، والطريق إلى الحق واضح، والمشروعية ليست أمرًا نسبيًا، بل هي حكم إلهي مرتبط بالوحي الكامل.

■ الفيل في الغرفة المظلمة: خرافة التعددية

أنصار التعددية يستخدمون مثال الفيل في الغرفة المظلمة: كل شخص يلمس جزءًا ويظنه الحقيقة الكاملة، بينما الحقيقة الكاملة لا يراها إلا من يعرف الصورة بأكملها. جون هيك استعار هذا المثال وارتبط بفكر كانط، مدعيًا أن كل دين يقدم صورة جزئية عن الحقيقة المطلقة.

لكن هذا الادعاء يساوي بين الحق والباطل، بين التوحيد والشرك، ويغفل الفرق بين الهداية والضلال. الإسلام يرفض هذا التسويف ويؤكد أن الطريق الحق واضح ومحدّد، وأن المشروعية اليوم محصورة بالإسلام بعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله.

■ القرآن والحكم الإلهي: مشروعية الإسلام

القرآن يوضح بجلاء أن مجرد الانتساب لدين سابق لا يكفي للنجاة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]

كما أكد على مشروعية الإسلام وحده بعد الرسالة الخاتمة: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]

هاتان الآيتان تثبتان أن الطريق الحق اليوم واحد، وأن المشروعية ليست مسألة نسبية، بل حكم إلهي واضح.

■ المسيحية والتعددية: التاريخ يكشف الحقيقة

التاريخ يوضح أن المسيحية التقليدية لم تتبنَ المساواة بين الأديان. الكاثوليكية قالت: "خارج الكنيسة لا خلاص"، بينما البروتستانتية قلّلت من هذا الانغلاق جزئيًا، لكنها بقيت تؤكد ضرورة الإيمان بالمسيح. ومع ظهور تيارات الفكر الليبرالي الحديث، حاول البعض تعميم التعددية على جميع الأديان، مثل جون هيك، الذي اعتبر كل دين انعكاسًا للحقيقة المطلقة من زاوية مختلفة.

لكن الواقع والتاريخ يثبتان أن الأديان تختلف في جوهرها، وأن هذه الفلسفة الحديثة، رغم جاذبيتها، لا يمكنها أن تنسجم مع نصوص الوحي الصريحة. الإسلام يؤكد أن الحقائق الجوهرية ليست نسبية، وأن الطريق الصحيح للنجاة واحد وواضح.

■ الإسلام والمشروعية: الطريق المؤكد

الإسلام لم ينكر مشروعية الشرائع السابقة، فقد بعث الله رسلاً وأنزل شرائع لكل أمة في وقتها. لكن هذه الشرائع كانت مرحلية، ومع بعثة النبي صلى الله عليه وآله صار الإسلام الدين المشروع الكامل والمهيمن، كما تقول الآية: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]

الهداية اليوم ليست مجرد شعارات أو انتماءات تاريخية، بل الالتزام بما أمر الله ورسوله، بالإيمان والعمل الصالح. المشروعية بعد الإسلام واضحة: الإسلام هو الطريق الحق، والآخرون أخذوا أجرهم قبل البعثة، لكن اليوم الطريق واحد لمن أراد النجاة.

■ الخلاصة:

في هذه المقالة، كشفنا كيف أن التعددية الدينية، رغم بريقها الفلسفي وجاذبيتها الفكرية، تقع في فخ التضليل والنسبيّة. كل الأديان السابقة كانت مشروعة في وقتها، لكن مع بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله، صار الإسلام الدين المشروع الوحيد والمهيمن على الأرض. الطريق إلى الحق لم يعد متعددًا، والمشروعية اليوم محددة بوضوح، كما نص القرآن ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

أيها القارئ، لا تظن أن الطريق مفتوح لكل مسار أو أن الحق نسبي. الطريق الحق واحد، والحق محفوظ من التحريف، والنجاة لا تتحقق إلا بالاتباع الواعي للوحي والعمل الصالح. الإسلام لا يفرض نفسه بالقوة، لكنه يرسم خريطة واضحة للهداية، يوجه بها الباحث عن الحق، ويضيء له المسار وسط ضباب الحياة وأوهام البشر.

تخيّل نفسك بعد رحلتك الطويلة في الصحراء، وقد ظهر أمامك الطريق الصحيح، واضحًا، محددًا، مضاءً بنور الوحي. تشعر باليقين يغمر قلبك، وتدرك أن الله فتح لك باب الهداية. لكن هل يكفي أن ترى الطريق؟ أم أن النجاة الحقيقية تحتاج أن تخطو فيه بثبات، وتواصل المسير حتى تصل إلى الواحة؟

هذا هو السؤال الكبير الذي سيواجهنا في المقالة الرابعة: من ينجو ومن يهلك؟ وكيف يربط الله بين المشروعية والعمل والخلاص الأبدي؟ استعد للغوص في أعماق المعرفة، فالرحلة لم تنتهِ بعد، والنور يزداد وضوحًا مع كل خطوة في طريق الحق.

اللهم أرنا الحق حقًا فنتبعه، وأرنا الباطل باطلًا فنجتنبه، وثبتنا على صراطك المستقيم، واحشرنا مع محمد وآل محمد الطاهرين.